تقرير قاعدة أخلاق الجماعة المسلمة في القرآن الكريم

د. علي بن عبدالله بن سعيد آل غرمان الشهري*

* أستاذ مساعد في جامعة الملك فيصل – كلية التربية – قسم الدراسات الإسلامية، الهفوف، المملكة العربية السعودية.

ملخص البحث:

وضع الإسلام للأخلاق منهجاً عاماً يصلح للفرد وللجماعة على حدّ سواء، وفي ثنايا هذا المنهج تبدو إشارات نأخذ من ظاهرها: أنها موجهة إلى الجماعة، ومن مضمونها: أنها جاءت لرعايتها، والمحافظة على روحها ووحدتها.

وبدا هذا جلياً في خطاب القرآن الكريم، كالتوجيه الأخلاقي المبني على طلب المقابلة بالأفعال والمواهبة والمشاركة، مما يدل على تلازم الحقوق بالتناظر بين أهلها في تعاطيها. وهذا محور الموضوع الذي بين أيدينا، حيث جاء فيه بيان لمنـزلة الجماعة، والدور الأخلاقي الذي ينبغي أن يحكم فكرها، وينظم معاملاتها، ويرسم العلاقة بين جميع أفرادها. كما أن فيه تأصيلاً للقواعد الأخلاقية التي تحفظ الجماعة، وتُبقي على تماسكها. وفي هذا الموضوع تقنين للقاعدة الأخلاقية في القرآن الكريم التي تنطلق منها الجماعة المسلمة، وتتخذها مبدأً تأمن به من عوارض وآفات التجمع البشري.

وقد جاء البحث في فصلين: الأول نظري: تكلمت فيه عن ضرورة الاجتماع، وأنه غاية ملحّة لتكامل أسباب المعاش بين الناس. كما بينت فيه أن الإسلام قد رفع شعار الجماعة، وعمل على رعايتها في سائر تشريعاته، وبينت أن الفرد هو اللبنة التي تكوّن بناءها، وأن رعايته وصلاحه شرط لصلاحها. كما تضمّن هذا الفصل عرضاً للفلسفة الأخلاقية للجماعة من حيث المفهوم والمكانة التي تشكلها، والأثر الذي يترتب عليها، ومدى الإلزام الذي تفرضه على أفرادها.

وأما الفصل الثاني: فهو تطبيقي، ويشتمل على صور من القواعد الأخلاقية للجماعة المؤمنة في القرآن الكريم بمفهومها المبني على طريقتي: الإثبات والنفي، إذ جاء في مبحثين: الأول: عن الأخلاق المحمودة التي حضّ عليها القرآن الكريم. والثاني: عن الأخلاق المذمومة التي حذر الكتاب منها الجماعة. يلي ذلك خاتمة البحث، وفيها تقييد لبعض نتائجه.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

للجماعة في الإسلام فضل ورفعة ووقار، ولها سلطان وعزم وهيبة، الجماعة العاقلة الراشدة التي تنتهج الدين وتحرسه وتخشى عليه، وتتمثل الخلق القويم، وترعاه وتدعو إليه. ولكي تتكوّن لدينا جماعة صالحة على الصفة المذكورة، يمتد وجودها، ويظهر أثرها فقد قرر الإسلام للاجتماع أصولاً، وسنّ له سنناً، وشرع له آداباً تحكم فكر الجماعة، وتنظم حياتها، وتحدد دورها. ومع وجود هذا النظام المتكامل، والمنهج الشامل فإن الجماعة كالواحد في توارد العوارض عليها، من الصحة والسقم، والقوّة والوهن، واليقظة والغفلة. فكما أن لها نظاماً يضبطها ويحفظها، تستمد منه قوتها وعافيتها، فكذلك لها أدواء كثيرة وعلل، تُضعف مُنّتها، وتُورث فُرقتها، وتبدّد شملها. وإن من أشدّ الأمور خطراً، وأمضاها أثراً في سلامة الجماعة: أن تصاب الأمة في أخلاقها؛ إذ هي الرابطة لأطرافها، والوشيجة بين أفرادها. وهي الصلة التي عن طريقها تلتقي القلوب، وتأتلف الأرواح والنفوس. وهي المادة التي يقيمون عليها علاقاتهم، ومعاملاتهم. فإذا أصابها الداء، وأدركها العطب انتقض فتل الجماعة، وخَرَّ بنيانها.

عالج القرآن الكريم أخلاق الجماعة على القدر الذي تحتاجه من عناية، والوجه الذي تطلبه من الاهتمام، فنصب ميزانها، وأحكم قواعدها، وبسط مفرداتها. وبنى خطابه فيها على صيغتين.

الأولى مطلقة: ظاهرها لجانبٍ واحد، وهي للجماعة ولغيرها من آحاد الناس، كقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾[1].

والثانية مقيدة: مفهومها المفاعلة بين طرفين، والمقايضة بين جانبين أو

---

(١) سورة الأعراف الآية (٣١).

أكثر، تُثبت للمخاطب حقاً، وتوجب عليه مثله كقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[1].

الأولى منهما أعم في القرآن وأغلب، والثانية آكد لمصلحة الجماعة وأقرب. ولطالما جُمع بينهما في الكلام دون تمييز، وشملتا بالحديث دون تفريق؛ لرقّة الحجاز الذي بينهما؛ بيد أن للثانية منهما فضل خصوصية في تأكيد الحقوق، وتكافؤ الواجبات، وضمان المواهبة والمعاطاة التي تنعقد بسببها الموالفة والمواضعة بين القوم على ما ينفعهم، ودفع ما يضرهم. وهذا دون مرية من الأصول التي يضطر إليها كل اجتماع.

هذا الجانب الأخلاقي الموجه إلى الجماعة على تلك الكيفية ما علمت أن أحداً قد اختصّه بحديث، فتناولته بهذا العرض المتقارب على قدر معرفتي وعلمي؛ إظهاراً لقيمته، ونشراً لفضيلته، وجعلت عنوانه: **تقرير قاعدة أخلاق الجماعة المسلمة في القرآن الكريم**" وقد تمت مناقشته في فصلين:

الفصل الأول: بعنوان: بناء الجماعة وأخلاقها، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: ضرورة الاجتماع والحاجة إلى تبادل الانتفاع.

المبحث الثاني: الإسلام دين الجماعة.

المبحث الثالث: صلاح الفرد شرط للجماعة.

المبحث الرابع: مفهوم أخلاق الجماعة.

المبحث الخامس: مكانة أخلاق الجماعة.

المبحث السادس: سلطان الجماعة رقيب أخلاقها.

الفصل الثاني: تطبيقي بعنوان: صور من القواعد الأخلاقية للجماعة في القرآن الكريم. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأخلاق المحمودة.

المبحث الثاني: الأخلاق المذمومة.

ثم ختمته ببعض ما بدا لي من ملاحظات وفوائد من خلاله.

---

(١) سورة المائدة الآية (٢).

لقد كُتِبَ في الأخلاق قديماً وحديثاً، ومع هذا يبقى لموضوعها نوع من التَفرّد بالحاجة إلى التذكير، والتعهّد بين الحين والآخر؛ لأنه معيار السلوك، وميزانٌ لتصرفات الناس وأفعالهم. يُردُّون إليه كلما جمحت بهم الصوارف، واندفع بهم الهوى والعرف، الذي يقتضيه التطور الزمني، ويُحدِثه الاتساع في التعايش مع الأنماط المختلفة من البشر، كما نشهده اليوم. وهذا البحث فيه نداء برفق يذكّر ببعض هَدْي القرآن في هذا الشأن؛ لعلّ الله يحدث به ذكراً.

اللهم تجاوز عما فيه من التقصير، لك الحمد ربنا كما تحبّ وترضى، نستغفرك اللهم ونتوب إليك، ونصلى ونسلم على رسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول
بناء الجماعة وأخلاقها

المبحث الأول
ضرورة الاجتماع والحاجة إلى تبادل الانتفاع

طلب الاجتماع سنة في الخليقة، وميل في الطبيعة، وضرورة للمعاش. وقد قضى الله لهذا الكائن البشري أن يفرّ من الوحشة بالانفراد إلى الأنس بالاجتماع، وأن يسعى بفطرته إلى الالتئام بجنسه، والاقتران بنوعه، والنزوع إلى مساكنته وقربه، وليس هذا في جنس الإنسان وحده، بل هو متحقق في سائر المخلوقات من الوحش والبهائم والطير.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[1].

والتماثل في الأممية لا يمنع التماثل في بعض خصائصها. ها هي جماعات النمل، وفِرَق النحل، وأسراب الجراد، وقطعان السوارح، لا تطلب العيش إلا على هذا الحال، ولا تكفل الأمن إلا بهذه الطريقة. وإذا صح هذا في أصناف البَهْم، وسائر العجماوات فهو بالإنسان أخلق وأوجب، وحاجته إليه ألزم وأبين؛ ذلك أن مقومات حياته من الزاد واللباس، والمأوى ونحوه لا تتهيأ إلا بقدر من الإعداد، وكيفية من التعقيد والتركيب تقتضي أن يشركه في تحصيلها غيره، فكان لابد له من المعاونة، والمصانعة، وحسن الاحتيال. ومداورة الغير ومواطأته على التسبب لذلك؛ لكي يحصل الجميع على مطلوبه[2] قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا

(١) سورة الأنعام الآية (٣٨) وانظر تفسيرها عند القرطبي (٦/٤١٩).
(٢) انظر ما قرره ابن خلدون رحمه الله في هذا الموضوع في المقدمة (ص٤٦).

بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1] ولاريب أن مادة ذلك كله الوحدة دون الفرقة، والألفة دون النفرة، وعلامتها المواطنة والمجاورة. ومن هنا نشأت فلسفة الاجتماع وولد نظامه، نشدته الخليقة منذ فجر التاريخ، ونزّلته على حاجاتها مبنياً على المنفعة المحضة، والمصلحة المتبادلة. ولم يكن بمعزل عن الأنانية، ومحبة النفس، بل ظل مرتهنا بذلك خاضعاً لسلطانهما، فكان كثيراً ما ينخرم قانونه، وينهدم بنيانه لرغبة جامحة، وهوىً متّبع؛ من أجل ذلك أضحى قلقاً يقوى حيناً ويضعف أحياناً، لا يستقر على حال، ولا ينتظم على طريقة. وكان من شأن الرسالات والنبوات المتوالية أن تصلحه، وتحميه وتحفظه، وتضع الموازين الحق لضبط نظامه، وضمان نفعه، وتعمل على تحقيق مبادئه العليا مثل العدل، والمساواة، والأخوة، والحرية، والإيثار ونحوها.

قال جل ذكره: ﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ.....﴾[3].

ولكن عوادى الزمن، وتقادم العهود، وتمرّد الرعاة والقادة، وقلّة المصلحين وعجزهم، وضعف الذّمم كل أولئك ما يفتأ أن يُقْصيه، ويذهب به بعيداً عن ميراث النبوة؛ لينكفئ مرتداً إلى مراحل الفوضى والعشوائية التي كان عليها. وظل على هذا المنوال، يستوي مع الهدى يسيراً، ويجور مع الهوى كثيراً حتى اكتنف الله عباده بدعوة نبيه محمد ﷺ.

---

(١) سورة الزخرف الآية (٣٢).
(٢) سورة الزخرف الآية (٦).
(٣) سورة الحديد الآية (٢٥).

المبحث الثاني
الإسلام دين الجماعة[1]

القلّة والخوف والذّلّة من آفات الاجتماع، كذلك كان حال المسلمين بمكة. سعى رسول الله ﷺ فيها لتحقيق الأمن والنصرة فلم تُجبْه، وطلب النصر والتأييد في وجوه القبائل فأعوزه، فعلم حينئذ أن مكة ليست له بوطن، ولما آنس من أهل يثرب القبول، ولمس منهم الصدق والوفاء بالعهد في بيعتي العقبة يمّم وجهه تلقاء المدينة بعد أن استنفر إليها أصحابه.

حطّ الإسلام في الوطن الجديد رحاله؛ وأخذ يمدّ منه ظلاله، وطفق الرائد يجمع شمل أهله، ويرفع القواعد من وحدة أمته الإسلامية، بعد أن اطمأن به المستقرّ، وابتعد عمّا كان يترصده من الخطر. فاستهلّها بالتأليف بين المهاجرين والأنصار في مشروع المؤاخاة الذي لم يعرف له التاريخ شبيهاً في شدة الإيثار، وخلوص المحبة، وصدق التضحية. ومضى على ذلك يفهّمها أصحابه، ويندبهم إليها، ويحضّهم عليها، حتى أوقر نفوسهم مهابتها، وأورث قلوبهم محبتها كقوله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منع عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[2].

مصدقاً بفعله ﷺ ما يدعو إليه بقوله. يتلاحى بين يديه الرجلان فيتأذى بذلك حتى يروا أثره في وجهه. ويكيد له المنافقون، ويضمرون له الضغينة يبغون في صفه الخبال والفتنة، حتى إذا جاءوه لقيهم بالبشر، وأفسح لهم في مجلسه، وأعطاهم من وجهه وحديثه، مع علمه بما يبيّتون؛ ولكنه لا يدلّ عليهم

---

(١) اقتضى ترتيب البحث أن يتأخر التعريف بمفهوم الجماعة لارتباطه – هنا – بالمصطلح الإضافي الذي سيأتي بيانه في مبحث مستقل في ص (١١-١٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم (٥/٢٢٣٨) رقم (٥٦٦٥)، ورواه مسلم – واللفظ له – في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٤/١٩٩٩) رقم (٢٥٨٦).

درءاً للفرقة، وخوفاً على روح الجماعة[١]. وأخذت فرائض الدين تترى، ومفردات الشريعة تتوالى نزولاً عليه ﷺ وفي أعطاف كل منها جمع للكلمة، وتحقيق للوحدة، ومن غاياته وحِكَمِه: بناء الصفّ، وصيانة الجماعة. كان ذلك بالكلمة الأولى التي هي غرة العقيدة، ومفتاح الدخول في الدين، عليها يجتمع الناس لتوحيد رب العالمين، وبها تتحدد وجهتهم، وتأتلف قلوبهم، وتنتظم مشاعرهم وأفكارهم. ثم كان الترقّي في ذلك بزيادته وتأكيده في صلاة الجماعة، التي يجتمع لها الناس في اليوم والليلة خمس مرات، فيحصل بها الأنس، ويحلّ الأمن، وتنتشر الطمأنينة. وبها يندفع الغلّ، وتتلاشى الفروق، وتزول الغربة، حتى إذا استتم هذا لأهل الحِلّة الواحدة وسّع الدائرة ليلتقوا مع إخوانهم فيما جاورهم من الحِلَل، بفرض الجمعة في كل أسبوع مرة؛ لكي يطّلعوا على أحوالهم، ويعرفوا أخبارهم، ويتدبروا شؤون حياتهم[٢]. ثم جعلها لأهل المدينة كافة، وما انتظمت جهاتها من القرى والبوادي، في صلاة العيد كل عام مرتين، على صعيد بارز عن العمران؛ ليخلو بهم المكان عن الشواغل، وينأى بهم عن الصوارف، ويجتمع على الطاعة شمل الحاضر والباد. ثم كان هذا في صورة أكبر حين دعاهم للحج، يأتون من كل فجّ عميق إلى بيت الله المحرّم، في العمر مرة واحدة، للقادر المستطيع من أهل الإسلام، يستوون في اللباس والدعوة، والوِجهة والعمل، تاركين ما خولهم وراء ظهورهم. وفي ذلك تذكير لهم بيوم القيامة، يوم الجمع العظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين. وفيه فُسحة لأهل الملّة من مشارق الأرض ومغاربها أن يلقى بعضهم بعضاً فيتعارفوا ويتآلفوا، ويحمدوا الله على ما رزقهم، ويكبروه على ما هداهم وجمعهم على الدين القويم[٣].

---

(١) لطلب التوسع في هذا الموضوع ينظر كتاب: الوحدة الإسلامية. للشيخ: محمد أبو زهرة.

(٢) يطيب لبعض مشائخنا جزاهم الله عنّا خيراً أن يعبّر عن الجمعة: بالمؤتمر الأسبوعي للمسلمين.

(٣) انظر تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص (١٢٨-١٢٩).

ولقد جاءت كل من هذه الشعائر مقدّرة الآماد فيما بينها؛ لتواءم أحوال الناس في زمانها ومكانها، فلا يكون بين آحادها بُعْد عهد، ولا مع اطّراد أدائها ملل ولا مشقة. وإذا كان الجانب التعبدي في تعليل فرضها أظهر فإن العقل لا يمترى في أن ما عرفناه من الغايات لا يخرج عن غرض صاحب الشريعة.

ولو التمست هذا في الزكاة والصيام والجهاد لما خرجت بك مقاصدها عن هذا السبيل، ولوجدت مع اختلاف صورها وكيفياتها أنها منزّلة على رعاية الجماعة، وتحصيل مصلحة الأمة. وهكذا فإن الدين لم يكتمل إلا قد قرر للاجتماع أصولاً، وسن له سنناً لا يقوم بناء المجتمع المسلم إلا عليها، ولا يصلح إلا معها. منها يستمد قوته، ويُبْقي على تماسكه، وبها ينشر رسالته، ويرفع رايته. ولقد ظلّ هذا الأمر محلّ تذكير للناس، وحث وامتنان، في كثير من نصوص الكتاب والسنة؛ ليتبينوا خطره، ويستشعروا أهميته في حماية بيضتهم، وقوة شوكتهم، وصلاح معاشهم قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[1] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[2]. وقال جل ذكره: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾[3]. وقال سبحانه: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٣).
(٢) سورة الأنبياء الآية (٩٢).
(٣) سورة الأنفال الآية (٢٦).
(٤) سورة الأنفال الآيتان (٦٢-٦٣).

كما ثبت عنه ﷺ الأمر بلزوم جماعة المسلمين في كل حال، وعدم الخروج عن الطاعة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما[1] عن النبي ﷺ قال: "من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية"[2].

وقال ﷺ في جوابه لحذيفة[3] – حينما سأله عن الفتن –: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم..."[4].

وكما جاء الأمر بلزوم الجماعة جاء التحذير من الاختلاف والفرقة، قال

---

(١) هو: عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ، حبر الأمة. ولد سنة ثلاث قبل الهجرة بمكة، لازم النبي ﷺ وروى كثيراً من أحاديثه. شهد مع علي رضي الله عنه الجمل وصفين، كف بصره في آخر حياته، وسكن الطائف، وبها توفى. كان عالماً بالتفسير والفقه، والمغازي والشعر، وأيام العرب وغيرها. وكانت وفاته رضي الله عنه سنة (٦٨هـ). انظر: الاستيعاب لابن عبدالبر (٣٤٢/٢). وأسد الغابة لابن الأثير (٢٩٠/٣) رقم (٣٠٣٥) وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٣١/٣-٣٥٩) رقم (٥١). والإصابة لابن حجر العسقلاني (٣٢٢/٢) رقم (٤٧٨١).

(٢) رواه البخاري في كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ: (سترون بعدي أموراً تنكرونها) (٢٥٨٨/٦) رقم (٦٦٤٦) وانظر رقم (٦٧٢٤) ورواه مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة (١٤٧٧/٣) رقم (١٨٤٩).

(٣) هو: حذيفة بن حسل بن جابر بن عمرو بن ربيعة أبو عبدالله العبسى. واليمان لقب (حسل بن جابر). هاجر إلى النبي ﷺ فخيره بين الهجرة والنصرة فاختار النصرة، وشهد مع النبي ﷺ أحداً، وقتل أبوه بها. وحذيفة صاحب سرّ رسول الله في المنافقين لم يعلمهم أحداً إلا حذيفة. شهد فتح نهاوند، وأخذ الراية بعد النعمان بن مقرن أمير ذلك الجيش. وكان موته رضي الله عنه بعد مقتل عثمان بأربعين ليلة سنة (٣٦هـ). انظر: الاستيعاب (٢٧٦/١). وأسد الغابة (٤٦٨/١) رقم (١١١٣). والإصابة (٣١٦/١) رقم (١٦٤٧).

(٤) رواه البخاري في كتاب الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (٢٥٩٥/٦) رقم (٦٦٧٣). ورواه مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة (٣/ ١٤٤٦) رقم (١٨٤٧).

تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[1] وعنه ﷺ: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.."[2].

ولقد كان ﷺ قائداً حكيماً، وراعياً رحيماً، يتدبر أحوال الأمم الخالية، ويتأمل أخبارها، حتى إذا أدرك أدواءها، وتبين العلل التي أوهنتها، والأسباب التي فرقتها، أخذ أمّته باعتبارها، ودعاهم إلى اتقائها ؛ عدولاً بهم عن مصائرها ؛ رعاية لأمته، واستبقاء لها، وإشفاقاً عليها، وكان ينبه إلى ذلك بمثل قوله ﷺ: "أيها الناس، إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[3].

المبحث الثالث
صلاح الفرد شرط للجماعة

ما كان للإسلام أن يدعو إلى الجماعة دون أن يُحكم بناء الأساس الذي تقوم عليه، والركن الذي تعتمد عليه. فالفرد هو المكوّن للجماعة، وهو سداها ولحمتها، بصلاحه تصلح، وباستقامته تقوم، ولئن كان بينهما من التلازم ما لا يقوم أمر أحدهما إلا بالآخر، إلا أن الجماعة تظل مرحلة تالية، تنتظر ما يكون من الواحد حتى ترفع به كيانها، وتجمع به شملها. وإذاً فالبداءة به مطلب لها،

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) (٦/٢٥٩٣) رقم (٦٦٦٦) وانظر الأرقام: (١٦٥٤، ٦٦٦٧، ٦٦٦٨، ٦٦٦٩). ورواه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان معنى قول النبي ﷺ: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" (١/٨١-٨٢) رقم (٦٥)، (٦٦).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب (٥٢)، (٣/١٢٨٢) رقم (٣٢٨٨)، وانظر الأرقام: (٤٠٥٣) (٦٤٠٥) (٦٤٠٦). ورواه مسلم في كتاب الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود (٣/١٣١٥) رقم: (١٦٨٨).

وإلى ذلك سعى الإسلام، وعليه عمل الدين، بل قد أعدّ له قبل كونه، وقدم تدبيره قبل وجوده قال رسول الله ﷺ: "**لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنّبنا الشيطان، وجنّب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يُقَدّر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً**"(١). وما تراه من إحكام لحياة الأسرة، وضبط لنظامها، إنما كان أكثره لأجله، حتى إذا أوجده الله تعالى ذِكْره سوّاه فَعَدَلَه، وركّبه في أتمّ صورة، وأحسن تقويم، كما نبه إلى ذلك سبحانه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾(٢) وقوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤﴾(٣). ثم منّ عليه بالفطرة، وزوّده بالهداية قال تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨﴾(٤). ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩﴾(٥).

ولما كان أصل خلقه الأول قبضة من طين، ونفخة من روح، كما قرر جل ذكره: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾(٦). وكان لكل منهما ميل إلى معدنه وأصله، لبّى حاجاته إليه، ونظّم رغباته فيه، فأعطى للبدن ما يشاكله من أصناف المآكل والمشارب، والمناكح، والمال والرياش والمتاع. وللروح ما تطلبه من التألّه والتعبّد له، والتّقرّب إليه بأنواع العبادات. ورسم لكل حدوداً، ووضع لها ضوابط وقيوداً؛ لكيلا يُخلّ في تعاطيها أو يزلّ، أو يُهمل في أخذها أو

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات باب ما يقول إذا أتى أهله (٥/٢٣٤٧) رقم (٦٠٢٥) وانظر الأرقام: (١٤١)، (٣٠٩٨) (٣١٠٩)، (٤٨٧٠)، (٦٩٦١)، ورواه مسلم في كتاب النكاح باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع (٢/١٠٥٨) رقم (١٤٣٤).

(٢) سورة الانفطار الآيات (٦-٨).

(٣) سورة التين الآية (٤).

(٤) سورة الشمس الآيتان (٧-٨).

(٥) سورة البلد الآيات (٨-١٠).

(٦) سورة ص الآيتان (٧١-٧٢).

يَضلّ. وجعله خليفة في الأرض، واستعمره فيها، وكرمه، وهيأ له. من صنوف المسخرات، وفضّله على كثير ممن خلق تفضيلا. كما قرر ذلك في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1] وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[3].

ثم كمّل ذلك سبحانه وجمّله بدعوته إلى كل ما يصلح به عقله وقلبه وروحه وجوارحه، من محاسن الأخلاق وكريم الصفات، وجميل العادات، من مثل قوله جل ذكره: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾[4].

وبالجملة فقد سنّ له منهجاً أخلاقياً عظيماً من نصوص الكتاب والسنة، يحكم به تعامله مع نفسه، وعلاقته بربه، وعلاقته بالآخرين، وجعل إمامه في ذلك وأسوته وقدوته إمام المتقين، وصاحب الخلق العظيم، نبينا محمداً عليه أكمل الصلاة وأتم التسليم، حتى إذا كان على أحسن شيء من ذلك صلاحاً وتأديباً وتهذيباً دفع به إلى ساحة الجماعة؛ لتقوم به، ويقوم بها؛ إذْ هي امتداد لحاجاته، وضرورة من ضرورات حياته.

---

(١) سورة البقرة الآية: (٣٠).
(٢) سورة هود الآية: (٦١).
(٣) سورة الإسراء الآية: (٧٠).
(٤) سورة الإسراء الآيات (٣٦-٣٨).

المبحث الرابع
مفهوم أخلاق الجماعة

يحسن بنا قبل الشروع في الحديث عن هذا المصطلح الإضافي أن نبين المراد بكلٍ من طرفيه.

فالأخلاق: جمع خُلُق. والخُلُق والخَلْق كلمتان متجانستان. والخلْق بفتح الخاء وسكون اللام: التقدير[1]. وفي اللسان: (أصل الخَلْق: التقدير. والخلق في كلام العرب: ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه، وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سُبق إليه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[2].

والخُلُق بضمّ الخاء واللام أو بسكون اللام يراد به في اللغة: الدين، والطبع، والسجيّة، والمروءة.

والخِلْقَة: الفطرة، والخليقة: الطبيعة الأولى التي يخلق بها الإنسان[3].

ففي الكلمة الأولى: وصف للبدن وهيئته. وفي الثانية: وصف لفعله الصادر عنه، وتصرّفه.

وأما معنى الخُلق في الاصطلاح: فقد اختلفت عبارات الباحثين في الأخلاق بشقيها وتعددت سواء كانت فلسفية أو دينية إسلامية. وليس يعنينا الإمعان في تطلب ذلك، ويكفي أن نشير إلى بعض تعريفات علماء الإسلام، وتصورهم للأخلاق.

فعند ابن مسكويه رحمه الله[4]: (الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها

---

(١) الصحاح للجوهري (٤/ ١٤٧٠).
(٢) لسان العرب لابن منظور (٢/ ١٢٤٤) والآية من سورة الأعراف ورقمها (٥٤).
(٣) انظر: لسان العرب (٢/ ١٢٤٤-١٢٤٥).
(٤) هو: أبو علي أحمد بن يعقوب الملقب: "مسكويه" أو "ابن مسكويه" - على خلاف - أصله من الريّ، وسكن أصفهان وتوفي بها. كان عارفاً بالفلسفة، ألف كتباً منها: تهذيب الأخلاق، وتجارب الأمم. وكان قيّماً على خزانة كتب ابن العميد، ثم قيّماً على =

من غير فِكْر ولا رويّة. وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها: ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقلّ سبب ... ومنها: ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثمّ يستمر عليه أولاً فأولاً، حتى يصير ملكة وخُلُقاً)[١].

وعند أبي حامد الغزالي رحمه الله[٢]: (الخُلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويُسْر، من غير حاجة إلى فكر ورويّة. فإذا كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً، سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً. وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيّئاً)[٣].

وجاء عند ابن الأثير رحمه الله[٤] قوله: (وحقيقته: أنه لصورة الإنسان

= خزانة كتب عضد الدولة. ثم اختص ببهاء الدولة البويهي، وعظم شأنه عنده. ومات رحمه الله سنة (٤٢١هـ). انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (٥/٥-١٩) رقم (١). الوافي بالوفيات للصفدي (٨/١٠٩) رقم (٣٥٢٥). روضات الجنات للميرزا الموسوي الأصبهاني (١/٢٥٤) رقم (٧٨). الأعلام للزركلي (١/٢١١).

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص (٥١).

(٢) هو: محمد بن محمد الغزالي الملقب: حجة الإسلام، فقيه شافعي ولد سنة (٤٥٠هـ) تفقه على إمام الحرمين (الجويني)، وبرع في علوم كثيرة. درس بالنظامية ببغداد والنظامية بنيسابور. كان متصوفاً، سلك طريق الزهد والانقطاع، وعاد إلى موطنه طوس وبقى بها إلى أن توفي رحمه الله سنة (٥٠٥هـ). وله من المصنفات: إحياء علوم الدين – وعليه مآخذ من العلماء – والمستصفى في الأصول، وتهافت الفلاسفة. وغيرها. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٢١٦) رقم (٥٨٨). سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/٣٢٢) رقم (٢٠٤). طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦/١٩١) رقم (٦٩٤).

(٣) إحياء علوم الدين (٨/١٤٣٤).

(٤) هو: المبارك ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني مجد الدين أبو السعادات الجزري المشهور بابن الأثير. أخذ النحو وسمع الحديث. تنقل في الولايات، وكتب في الإنشاء، ثم عرض له مرض كف يديه ورجليه عن العمل، ومنعه من الكتابة، فانقطع في بيته يغشاه الأكابر والعلماء. له مصنفات جيدة، منها: جامع الأصول في أحاديث الرسول، جمع فيه بين الكتب الستة. توفى رحمه الله سنة (٦٠٦هـ). انظر: معجم الأدباء (١٧/٧١) رقم (٢٣). وفيات الأعيان (٤/١٤١) رقم (٥٥٢). طبقات الشافعية الكبرى (٨/٣٦٦) رقم (١٢٦٢).

الباطنة وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة، وأوصافها ومعانيها. ولها أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة)[١].

وحاصل هذه الأقوال: أنها تلتقي في معانيها وإن تلوّنت عباراتها. وكأنّ المتأخّر منهم قد تأثّر برأي من تقدمه، ولا بأس، فالخُلُق يصدق على الهيئة أو المصدر الراسخ في النفس المعتَبر لديها، ويصدق على الفعل الخارجي الصادر عن هذه الهيئة، وكلاهما يشترك في تشكيل الخُلُق. فالأول: أصله ومنبعه، والثاني: أثره في الخارج، وعلامته. والحكم عليهما صلاحاً أو فساداً في الفعل الواحد مطّرد. ويمكن أن يسمى الأول: المبدأ، أو القاعدة. والثاني: الفعل الخارجي.

وأما الجماعة: فهي مأخوذة من الجمع أو الاجتماع. وأصله الثلاثي: جَمَعَ، ويدل على تضامّ الشيء. يقال: جمعت الشيء جمعاً، وضدّه: التفريق. والجمع مصدر. وهو اسم لجماعة الناس، ومثله الجماعة. وقد استُعمل في غير الناس فقيل: جماعة الشجر، وجماعة النبات[٢].

ويطلق لفظ الجماعة ويراد به: القليل والكثير من كل شيء[٣]. أو الطائفة من الناس يجمعها غرض واحد[٤]. وأما استعماله في كلام الشارع: فإن فيه معنىً زائداً على ما ذكرناه وهو أنه يريد:

الجماعة الراشدة التي اجتمعت على الخير، وسلكت سبيل الرشد، وتحرت الدين، ولزوم الطريق المستقيم، وسلمت من البدعة والضلالة، وكل ما هو محدث

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٧٠).
(٢) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٤٧٩)، ولسان العرب (١/ ٦٧٨).
(٣) المصباح المنير للفيومي (٢/ ١٠٨).
(٤) المعجم الوسيط (١/ ١٣٥).

في الدين. وهي المقصودة في مثل قوله: "..... التارك لدينه المفارق للجماعة"[1]. وهي التي أمر الشارع بلزومها، وحذر من مخالفتها، والخروج عنها.

ومقصودنا بها: إنما هو آت من هذا الباب، فإنا نريد بها في موضوعنا: كل جماعة من المسلمين يصلح أن يتوجه خطاب القرآن إليها في نداءاته مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[2] نظائر هذا النداء في الكتاب كثير. ويعنيها أمره ونهيه المقرون بواو الجمع أو نحوه. وفي مثل قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[3] وقد جاءت في صيغة الخبر، ولكنها في معنى الطلب أي: أن فيها أمراً بالتواصي. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾[4].

المراد بالمعنى الإضافي: "أخلاق الجماعة" هي: مجموعة القيم أو المُثُل أو الوصايا الأخلاقية المتبادلة بين طرفين فأكثر، كالأزواج، أو الأصحاب، أو الإخوة، أو الشركاء أو نحو ذلك، ويكون اللفظ في سَنَنّها مُشْعراً بالمقايضة، والعمل على تعاطيها، قائماً على المقارضة. وأكثر ما يكون معنياً بها في خطاب القرآن الكريم جماعة المؤمنين. فهي تأتي على صيغة المفاعلة، وتبادل الحق فيها، وما يقوم مقام ذلك من الألفاظ، والعبارات الدالة على الاشتراك من أكثر من طرف ككلمة: الشورى، أو العهد، أو الجدل، ونظير قوله: "بينكم" و"بعضكم" ونحو ذلك. بحيث يكون الواحد راعياً باعتبار ومرعيّاً باعتبار آخر، من جهة الإلزام بالمبدأ الأخلاقي المنصوص عليه.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الديات، باب قوله تعالى:.... (٦/٢٥٢١) رقم: (٦٤٨٤)، ورواه مسلم واللفظ له في كتاب القسامة باب ما يباح من دم المسلم (٣/١٣٠٢) رقم: (١٦٧٦).

(٢) سورة البقرة الآية (١٠٤).

(٣) سورة العصر الآية (٣).

(٤) سورة الأنفال الآية (٤٦).

المبحث الخامس
مكانة أخلاق الجماعة

لا يصلح أي اجتماع بشري، ولا يستقيم حاله إلا بأمرين عظيمين:

الأول: شرع يحكمه، ونظام يضبطه؛ لكي يأمن كل على نفسه، ويحصل على حقه، ويكفل لكل فرد حريته العادلة، وقوته العاقلة، ويمكنّه من التقلّب لشأنه فيما يبتغي ويريد، دون إضرار أو بغى على نفسه أو على غيره من الناس. وفوق ذلك أن يحيا به حياة يتحقق بها الغرض الذي من أجله وُجد، والغاية التي لها خلق.

والثاني: راعٍ يقوم على نظامه، وحامٍ لشرعه، وسائس يدبر أمور الناس على وفقه. يحملهم على العمل به، والتقيّد بمضمونه، ويزعهم للوقوف عند حدوده، ويأخذ على أيديهم عند تعدّيه.

فأما الأول: فاعلم أنه مهما بلغ الناس من العلم، وأوتوا من الحكمة، وخبروا من التجربة فإنهم لن يتوصلوا إلى استكمال ذلك على الوجه الأمثل بأنفسهم استقلالاً؛ لتعلق بعضه بالمغيبات، وبنائه على معرفة المقاصد والغايات، ومراعاته للمصالح المنزّلة على حاجات الناس، مع اختلاف بينها وتباين؛ بسبب الزمان والمكان. ولو تكلّف الناس ذلك- وقد علمنا ورأينا مثاله- لما تأتّى لهم ذلك على وجه يحصل به النفع، وذلك بسبب القصور والجهل، وتأثير العرف، وغلبة الهوى.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2].

وأما الثاني: وعلى فرض تحقّق الأول أياً كان واضعه ـ فمهما بلغ الناس

---

(١) سورة الأنعام الآية (١١٦).
(٢) سورة البقرة الآية (٢٣٢).

من العقل، وحسن التدبير، وسلامة الحِجى ليباشروا ذلك من تلقاء أنفسهم دون راع يسوسهم، أو سلطان يَزَعهم على مقتضى ذلك النظام لما استقام لهم الأمر، ولتعذّر عليهم؛ لما رُكّب في النفوس من محبة ذواتها، وتقديم حظوظها على حظوظ غيرها. ولاختلفت الرغبات، وتعارضت المصالح، وغلبت الشهوات. ولا تجد أكثر الناس حينئذٍ إلا شحيحاً، أو حسوداً، أو شانئاً، وأعْظِم به سبباً في غمط الحق، ومنع الفضل، وحجب العُرْف، وشيوع المنكر.

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـًٔا كَبِيرٗا﴾[2].

كما تقدست أسماؤه: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾[3].

وإذْ قد تبين هذا فإن الله قد قضى بحكمته، وعلمه ورحمته ألا يخلق الناس عبثاً، ولا يتركهم هَمَلاً فيكلهم في ذَيْنك الأمرين إلى أنفسهم. وإنما وضع لهم نظاماً تقوم به مصالحهم في معاشهم ومعادهم، وأناب في أرضه من خلقه من يرعى أمره ونهيه فيهم. فكان الأول متمثلاً في الشرائع، والثاني في الأنبياء والمرسلين، ثم في من يخلفهم[4] ولا أحسب أحداً بعد هذا يستريب في أن المشكلة في تفويض هذين الأمرين إلى العباد مشكلة أخلاقية في المقام الأول.

---

(١) سورة النحل الآية (٧١).
(٢) سورة الإسراء الآية (٣١).
(٣) سورة الإسراء الآية (١٠٠).
(٤) لكلامي هذا ما يظاهره في فصول ثلاثة عند ابن خلدون رحمه الله في المقدمة. الفصل الثالث والعشرون: في حقيقة الملك وأصنافه. والذي يليه والذي يليه. انظر ص (١٧٥-١٧٨).

فالسبب الأخلاقي هو المؤثر في ذلك وجوداً وعدماً وقوة وضعفاً، وصلاحاً وفساداً. وحين بعثت الرسل، وأقرّت الشرائع لم تكن لتعتمد مبدأ التكليف والإلزام، والوعيد والترهيب ابتداءً فتجعلها يداً مسلّطة على العباد لتضطرهم إلى الدخول في الدين، وتحملهم على مضمونه كرها. كلّا. بل قدّمت بين يدي ذلك المسألة الأخلاقية، فجعلتها روح دعوتها، ولبّ رسالتها. واستصلحت بها النفوس، وقومت بها الطباع، وهذّبت بها المشاعر أبداً، كما تستصلح التربة قبل إلقاء البذر فيها ؛ لتكون أحسن زكاة، وأقرب نفعاً. وإذا التقى نور الإيمان، ونور البصيرة لم يَعْش القلب عن ذكر ربه، ولم يخطئ سبيله. وإذا تهذبت النفس، وزَكَت، وتجرّدت عن الصوارف أياً كان مصدرها، ثم عُرض عليها الحق تبيّن لها حُسْنه، وأخذت تتشوّف إليه، وتنساق له طوعاً، لا بل كلَفاً وشوقاً.

لقد كان من عظيم خطر هذا الجانب أن ينّوه به، ويرفع شعاره، وينصّ في أكثر من موضع من القرآن الكريم على أنه من الحكم الغائية، والمقاصد المرعية لبعثة نبينا محمد ﷺ كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[2] وقد جاء بها في معرض المنّ والتذكير؛ لكونها من أعظم النعم على الخلق ؛ ليتدبروها فيحمدوها، ويعملوا بمقتضاها. فذكر تلاوة الآيات، والمراد قراءتها عليهم، وتبليغهم إياها بما فيها من هَدْي ورحمة، ونفع وخير، وبركة. وذكر

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٦٤).

(٢) سورة الجمعة الآية (٢) ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ سورة البقرة الآية (١٢٩)، وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾. سورة البقرة الآية (١٥١).

التزكية، والمراد تطهيرهم من الشرك، والدنس، وتخليصهم من أوضار الجاهلية، وأدرانها، كما بسط ذلك غير واحد من أهل العلم، كقول ابن كثير رحمه الله[١]: (ويزكيهم أي يطهرهم من رذائل الأخلاق، ودنس النفوس، وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعلمهم الكتاب، وهو القرآن، والحكمة، وهي: السنة، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون)[٢].

وتعليمهم الكتاب أي: يعرّفهم هديه، ويبيّن لهم أحكامه وحدوده. والحكمة فسروها بالسنة بما تشمله من تشريع، وأخلاق، وآداب[٣]. وهذا مصطلح له في الفكر الإنساني، وتهذيب النفس وأفعالها، وتقويم السلوك، وإصلاح المنطق، وسداد اللسان شأن عظيم، ومقام محمود. فهي كلمة تنبئ عن الترقّي في الكمالات الخلقية، وبلوغ وجوه الفضائل، ونُبْل العقل البشري وسموه، وخلوص القلب وصفائه. وصيغة لفظها مشعرة بهذا؛ لأن فيها معنى الإحكام والإتقان، والفصل والقضاء، والمنع ؛ قيل لمنعها صاحبها من أخلاق الأراذل[٤]، وعصمتها إياه من الوقوع في الوهم، والغلط والضلال[٥]. ولذلك صار لفظها متداولاً في الشرائع، على تفاوت بينها في مضمونه. واستعملتها الديانات حقها وباطلها. بل والفلسفات الأرضية، والمذاهب الفكرية، وكستها المهابة والجلال. وفي كلٍّ عزّ مطلبها، فليست شرعة لكل طالب، وإن أبلى في سبيلها، بل هي من مواهب

---

(١) هو الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. ولد بقرية شرقي بصرى من أعمال دمشق سنة (٧٠٠هـ) وقيل: (٧٠١هـ) كان عالماً بالتفسير والحديث، عارفاً بالفقه والتاريخ. كان له خصوصية بالشيخ ابن تيمية، ومناضلة عنه، واتباع له في كثير من أرائه. له تصانيف كثيرة منها: البداية والنهاية في التاريخ، وطبقات الشافعية وغير ذلك توفى رحمه الله سنة (٧٧٤هـ). انظر: الدرر الكامنة (١/٣٩٩) رقم (٩٤٤). طبقات الحفاظ للسيوطي ص (٥٢٩). طبقات المفسرين للداودي (١/١١٠) رقم (١٠٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/١٩٦).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٢/١٣١).

(٤) انظر: لسان العرب (٢/٩٥١). والمصباح المنير (١/١٤٥).

(٥) انظر كتاب: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣/٦١). وله مبحث نفيس في موضوع الحكمة.

الجليل تقدّست أسماؤه وتوفيقه لعبده كما قرر ذلك في كتابه سبحانه: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[1].

واعلم أن أكثر الخلق بها سعادة، وأوفرهم منها حظاً، وأعظمهم نصيباً: هم أهل الإسلام وخاصته؛ لعظم المورد، ووضوح السبيل، وسهولة المأخذ. وإذا وُصفت السنة بها فليس تجد أشدّ مطابقة، وأصدق وصفاً منهما لبعضهما؛ لاتفاق وجه الكمال في كلٍّ مع كلّ. وإذا تقرر هذا علمنا أن الأخلاق تشغل مكاناً رحباً من دائرة الدعوة المحمدية، وتشكّل مقصداً كبيراً من مقاصد البعثة، وغاية من غايات النبوة. وليس أدلُّ على ذلك من أن يصدّر خبره عنها بكلمة الحصر في قوله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"[2]. ثم يأخذ منها بأحسنها، ويتحلّى بأعظمها كما أخبر عنه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3]؛ ليكون لمن خلفه أسوة وقدوة، وتكون طريقته سُنة ومِلّة، كما قال جلّ ذكره: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[4]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[5].

وفي القرآن الكريم يدور لفظ الحكمة مع جُمَل من الوصايا الأخلاقية؛ يشهد على أنها من أهم مظاهر الحكمة في الشريعة. ففي سورة الإسراء: يبعث الحشد النفيس من أصول الأخلاق، وأمهات الفضائل، ومقومات السلوك الإنساني في

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٦٩). ولفظ الحكمة يضيق ويتسع، فيطلق على السنة، وعلى الأخلاق، وعلى إصابة الحكم في القضاء، ونحو ذلك، كما سبق بيانه.

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ بلفظ: "بعثت لأتمم حسن الأخلاق" في كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق (٩٠٢/٢) رقم (٨) ورواه الإمام أحمد في مسنده (٣٨١/٢). وهو في مجمع الزوائد للهيثمي باب مكارم الأخلاق والعفو عن الظلم، قال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (١٨٨/٨).

(٣) سورة القلم الآية (٤).

(٤) سورة الأحزاب الآية (٢١).

(٥) سورة آل عمران الآية (٣١).

موضع واحد من قوله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1]. إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾[2] خمس عشرة آية فيها من تعاليم التخلّي والتحلّي ما تلتقي عليه الشرائع القويمة، والفطر المستقيمة، والعقول السليمة، من أول الدهر إلى آخره، ثم يختمها بقوله جلّ ذكره: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾[3].

وفي سورة لقمان يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾[4]. ثم يبين تلك الحكمة الموهوبة من الله بما ساقه من التعاليم الخلقية على لسان لقمان من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[5] إلى قوله تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾[6]. ولهذا شواهد أخرى في الكتاب الكريم[7].

وإذا كانت المسألة الأخلاقية من سنن الشرائع، ومن مقومات دعوتها، فإن بين أتباعها من الفروق ما يستوجب التفاوت في شيء من الطرح الأخلاقي في كل شريعة؛ ليتنزل على حاجات أهلها، ويكون مشاكلاً لأحوالهم. وإن من أبين تلك الفروق وأظهرها بين هذه الشريعة وما سبقها: ما اتصفت به سائر الشرائع من الخصوصية لأهلها. فكل نبي يبعث إلى قومه خاصة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[8]. وما تفردت به الشريعة المحمدية من العموم للناس جميعاً إلى قيام الساعة كما قال تعالى: ﴿وَمَآ

---

(١) سورة الإسراء الآية (٢٣).
(٢) سورة الإسراء الآية (٣٨).
(٣) سورة الإسراء الآية (٣٩).
(٤) سورة لقمان الآية (١٢).
(٥) سورة لقمان الآية (١٣).
(٦) سورة لقمان الآية (١٩).
(٧) انظر كتاب تهذيب الأخلاق لعبدالحيّ الحسنى ص (٣-٧) فقد توسع في بيان الحكمة وورودها في القرآن الكريم وفيه بيان لبعض ما أوجزته هنا وله فضل الدلالة عليه.
(٨) سورة الروم الآية (٤٧).

﴿أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[1]. ومعلوم أن من لوازم الخصوصية في كل أمة وحدة اللسان والدم والجنس واللون، ووثوق الصّلات، وقوة الوشائج. وهذه خلال هي أعون لأهلها – مع الدين – على الألفة، والقرب والوحدة، وأنفى للنفرة، والبعد والفرقة. في حين تكون هذه المقومات مع الدعوة العامة محدودة الأثر؛ لأن من لوازم العموم أن ينضوي تحت مظلته خلق كثير، تتعدد تلك المقومات وتختلف باتساعهم وكثرتهم؛ الأمر الذي يجعل إيجابيتها في الحالة الأولى سلبية في الحالة الثانية، وتعطي معنىً عكسياً نقيض ما أعطته تلك؛ لأن ذلك التعدّد مظنة التسامي، والتدافع، والمطاولة، وإدلال كلٍ بجنسه؛ مما يثير الأضغان، ويبعث الفرقة، ويُذكى نزعة التمييز. ومن ثم يوهن الحكمة التي سعت لها الرسالة، من اجتماع الناس على الدين، واتحاد وجهتهم، وائتلاف شملهم، وإحكام صفهم؛ ولكي لا يقع مثل هذا مع الرسالة العامة، رصد لها المشروع الأخلاقي الذي يذيب كل تلك الفروق بين أتباعها، ويعلو عليها، ويجيزهم إياها، بإخماد نارها كلما أُذْكيت جذوتها. وذلك ما اضطلعت به الرسالة المحمدية، فقد رأينا بوادر ثماره من أول عهد الدعوة، ثم أخذ يتنامى، ويتنامى معه دوره ويتسع حتى اكتمل بناؤه بختام الرسالة على نحو لم يسبق إليه في شريعة قبله.

لقد محضَ الإسلام الجماعة جلّ عنايته بتقرير قاعدتها الأخلاقية في القرآن الكريم، وتتميمها في السنة النبوية، وجعلها من صميم الدين، وأسس الشريعة التي تعبّد بها أهله؛ لا ليأمن النعرات، والنـزعات العرقية، فهذا لا يكفي؛ ولكن ليكوّن وجوداً اجتماعياً تصلح معه الحياة، ويعمر به الكون، وتتحقق به حكمة الاستخلاف. وعناية الإسلام بتقرير أخلاق الجماعة، والعمل على نشرها، وتأكيد مبدأ الإلزام بها يصوّر لنا شيئاً من قيمتها ومكانتها. وثمار الأخذ بها، وتطبيق منهاجها شواهد على أنها ضرورة لحياة الجماعة في عاجلها وآجلها.

إن أخلاق الجماعة قيم وخلال، ومُثُلُ ونظم تبني ولا تهدم، وتُصلح ولا تفسد، وترفع ولا تخفض، وتقوّي ولا تضعف. أخلاق تحث على الوفاق، وتباعد

---

(١) سورة سبأ الآية (٢٨).

من الافتراق، وتصِل الودّ، وتنـزع السخائم، بها تستقر مباءة العيش، وتأمن مثابة الارتياح، وينهض ركن العمران. وعنها تصدر الدماء معصومة، والأعراض مصونة، والأموال محفوظة، والعهود والمواثيق مرعيّة. ومعها يأمن السبيل، ويستقرّ الكيل والميزان، ويدرّ القطر، ويكثر الخير، وتنتظم المصالح، وتسهُل أمور الناس، وتنساب أعمالهم.

وهي إلى أخصّ من ذلك أسرع وأمضى، وأنفع وأجدى عندما تكون في أهل الدويرة الواحدة من الأهل والأقربين، والجيرة ومن في حكمهم. ففيها لهم برّ وصلة، ومودة ورُحْمى، وإعالة وكفالة. فلا يُرى معها حينئذٍ جوع ولا عُرْي، ولا فقر، ولا عَوَز ولا يُتْم، ولا انكسار ولا ضعف.

إن جمهرة أخلاق الجماعة هي العامل الوحيد القادر على صنع مجتمع مثالي تكتمل به مقومات المعاش على أحسن الأحوال، وتجتمع له أسباب التحضّر والرّقي في أبهى الصور، وتتحقق فيه المبادئ الكبرى التي نشدها الإنسان، واختصمت فيها الخليقة، واشتغلت بها التجمعات البشرية ولمّا تدرك الحدّ القريب منها كالعدل، والحرية، والمساواة. وإذا كان الفلاسفة ينشدون المدينة الفاضلة على نحو تصوروه يتعذّر أن تستجيب له الفِطر، فإن الذي كان واقعياً مع الجبلّة وما تطيقه قد جعل لها منهجاً تبلغ به أعلى مراقي السعادة في عيشها الدنيوي، ومآلها الأخروي وليس ذلك لغير الإسلام.

المبحث السادس
سلطان الجماعة رقيب أخلاقها

تناصرت الأدلة من القرآن والسنة على منح الجماعة سلطة لا تثبت – بعد النبي ﷺ – لغيرها من آحاد الناس. فحكمها عند التحقيق يأتي في المرتبة الثالثة بعد حكم الله ورسوله. وأولو الأمر الذين يأتون بعد النبي في طلب الطاعة والاتباع إنما هم مخوّلون من قِبَل الجماعة. فهي صاحبة الحقّ في تنـزيل شروط الإمامة عليهم دون غيرها. وإذاً فهي المعنيّة بقولنا: "أهل الحل والعقد".

فإذا أسندت الأمر إلى من أنابته عنها لزمتها طاعته، ووجب عليها اتباعه. وحينما آلت الأمور إلى أبي بكر رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ لم يكن يجهل المسوّغات والأمارات التي بنى عليها الصحابة اختيارهم له. بل ربّما يعلم من ذلك ما لم يعلموا ؛ لطول ملازمته لرسول الله ﷺ، ومعرفته بأحواله. ولكن أبا بكر كان أجلّ وأفقه من أن يسأل الإمامة، أو يندب نفسه لها، رغم فداحة الخطب الذي هم فيه، ومع أنه لم يكن يتشوّف إليها كما نفهم من خطبته – فيما بعد – إلا أنه كان يعلم أن الفصل في هذا الشأن ليس إليه، وإنما هو للجماعة. حتى إذا قالت كلمتها لم ير بدًّا من الاستجابة لمطلبها. وبقدر ما يلزم الجماعة من طاعة الإمام يلزمه من السماع لها، والصّدور عن رأيها. والشرع حين يعلق عليها ذلك فإنه قد كساها مهابة، وأحلها مكانة تمكّنها من وَزْع الناس على ما ترى، وتعينها على نفاذ رأيها – على أن سلطانها سلطان معنوي، أما السلطان الحسّي المباشر فإنه بيد الإمام أو من ينيبه –. يتضح ذلك من توجيه الخطاب إليها في القرآن وكذلك في السنة، فلا تكاد تظفر بنداء ولا تكليف أو توجيه إلا تجده باسم الجماعة، وقلما يأتي الخطاب في ذلك مفرداً إلا في أحوال خاصة جداً، وقد تكون معنيّة به إذا تجاوزنا حدود لفظه وسببه. كما يتضح ذلك من دعوة الناس إلى لزومها، وعدم مفارقتها، والتحذير من مخالفتها، والشذوذ عنها. كما تقدم بيانه. ومؤدى هذا توطين النفوس على الرضوخ لسلطانها، ورعاية هيبتها، واستشعار مراقبتها. ولعلّ من أبرز أسباب هذه الوصاية المفوّضة إلى الجماعة، وتعظيمها في النفوس: أنها قد أحيطت بضرب من العصمة فيما تأتي وما تذر ؛ لما توفّر لها من عوامل مجتمعة أشبه بالمنقّيات أو الممحصات والمهذّبات التي لا يكاد يتخللها الخطأ، من التشاور والتناصح والتواصي في جانب، والتصويب والتلاوم والتعاذل في جانب حتى يخلص لها الرأي النجيح الذي تطمئن إليه، وتعلم أن قد استفرغت الجهد في النظر فيه. تلك العوامل المؤثرة في النظر والحكم على الشيء تستمدها من طريقين :

الأول : تنّوع الخبرات لدى أفرادها، واختلاف المعارف، وتعدد المكتسبات من العلوم والفنون.

الثاني : اجتماع درجات العقول التي تتفاوت فيها مراحل العمر لتشكّل

باجتماعها تكاملاً عقلياً لا يعوزه الفصل في أمر متى أراد، ويندر أن يجانبه الصواب. يكون ذلك متحقّقاً للجماعة مع ما قد توفّر لأفرادها من اتحاد الهمّ والعزم، والمسؤولية، والحرص على تحقق المصلحة العامة فيما بين يديها وما ينتظرها؛ لإيمانها بأن الجميع متعلق بمصيرٍ لكلّ يدٍ في رسمه أثر لا يخفى[1]. وإذا سلِم كل ذلك لها، وقمين أن يسلم علمنا أن تواطؤها على المنكر أمر بعيد. ومن هنا كانت محلاً للمسؤولية في الالتزام والإلزام، ليس في الجانب الأخلاقي وحده، بل في رعاية الشريعة بوجه عام، في كل جوانب الحياة التي تقع عليها يد الجماعة. وقد خاطبها القرآن الكريم بهذا التكليف، وجعلها شريكة في المغنم والمغرم، ولو لم تباشر من الفعل شيئاً، وإنما بسبب تلك الوصاية الممنوحة لها، والهيبة المعلقة عليها في دورها الرقابي في المجتمع. بحيث إذا عمّ الخير والصلاح، وكانت سبباً فيه نَعِمت به، وانقلبت بقسط من أجره. وإن كانت الأخرى؛ بأن ظهر الفساد، وشاع المنكر آبت بوزره، وعوملت معاملة أهله. وهذه المسؤولية يقررها القرآن الكريم بصور شتى في تأكيد، وتشريف، وتحذير قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[2]، وعلى أيٍّ كان معنى "من" في قوله: "منكم" تبعيضية أم بيانية فإن الجماعة المتقدّم وصفها من أخصّ المخاطبين بهذا الأمر، وهي الناهضة بفرض الكفاية عند من قصر دلالة الآية عليه، وقد ختم الآية جل ذكره بما يفيد المدح والتهييج والبشارة، ثم أتْبعها بالتحذير من التفريط في ذلك، وسوء العاقبة. وساق له مثلاً من الأولين[3] بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[4].

---

(١) نريد بذلك مباشرة الأسباب؛ لأن الأقدار مقدّرة لله الواحد الأحد، هو المتحكم وحده في شؤون عباده.

(٢) سورة آل عمران الآية (١٠٤).

(٣) انظر تفسير الطبري (٧/ ٩٠) وما بعدها، وانظر الكشاف (١/ ١٩١-١٩٢)، وتفسير القرطبي (٤/ ١٦٥-١٦٦)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٩٠).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٠٥).

ومن مقتضيات دورها: انبعاث عزمها في إصرارٍ وتأكيد، على أداء واجبها، مهما لقيت من الإعراض والصدود، لا تثنيها عنه مخايل العصيان، وكثرة اللوَّم، ولا تستعفى دون ذلك حتى تستبرئ لذمتها، ويُعلم أن قد صَدَقَت النصح، وبالغت في الإعذار؛ كي تستحق أن تُدرأ عنها العقوبة إذا هي حلّت بالمجرمين. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾[1] وإن كانت على أقلّ من ذلك تأثيراً، وكانت أظهر عجزاً فليس أدنى من أن تعتزل مكان المنكر، وأهله؛ إيذاناً بالقِلَى، وإعلاناً للنكير عليهم قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾[2]. بل عليها بما عرفت من مقام ربها، وأليم أخذه ألا تأمن مكر الله، وأن تسأله العافية من العذاب والهلاك الذي يقتضيه حال الفساق، ويستوجبه فعلهم. فهي العاقلة التي لا يبارحها الحذر من مثله كما لم يبارح من هو أدنى منها منزلة عند ربه. هذا هو موسى عليه السلام يَفْرَق من ذلك ويقدِّم بين يدي ربه طلب المغفرة، والرحمة له وللمؤمنين في قول الله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾[3].

ذلك أن سنة الله قد جرت أن الفتن إذا أصابت، والنقم إذا حلّت لا تميز

---

(١) سورة الأعراف الآيتان (١٦٤-١٦٥). وقد تكلم أهل العلم عن فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبينوه. انظر الكشاف (١/ ١٩١)، وتفسير القرطبي (٤/ ١٦٥).

(٢) سورة النساء الآية (١٤٠).

(٣) سورة الأعراف الآية (١٥٥).

بين الخبيث والطيّب ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾[1] وإنما تعمّ الناس، وتأخذهم بما كسب بعضهم، وما الله بظالم لعبيده. ولكن ما كان لينال الجماعة من بأس لولا أنها قد أغمضت في شيء من أمر أهل الزيغ والهوى، وأغضت عنه، ولو أنها أَطَرتهم على الحقّ أطْراً حتى يستقيموا لسلمت وسلموا. جاء في الصحيح عن النبي ﷺ قال: "**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً** "[2].

إن الإصلاح الذي أنيط بالجماعة لا يتحقق بحسن النية، وسلامة القصد، والبراءة من المواطأة وحسب، بل لابد من الشروع في المزاولة العملية، والسعي لمعالجة أسبابه بما مُكّنت من الحكم والسلطان الذي يمنحه لها الشرع، ويظاهرها عليه الإمام، ويحركه العزم والمنعة. وإنما يكون الاعتزال الذي نبّهنا إليه عندما يُقْعِدُها الوَهَن، والعجز فلا تملك معه إلى الإصلاح والتغيير حيلة، ولا تستطيع سبيلا.

---

(١) سورة الأنفال الآية (٢٥).

(٢) رواه البخاري من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما في كتاب الشركة باب هل يُقرَع في القسمة والاستهام فيها (٢/٨٨٢) رقم (٢٣٦١) وانظر رقم (٢٥٤٠). ورواه الترمذي في كتاب الفتن باب رقم (١٢) (٤/٤٧٠) ورقمه (٢١٧٣) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وفي المسند (٤/٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠).

الفصل الثاني
صور من القواعد الأخلاقية للجماعة
في القرآن الكريم

نصائح قيّمة، وأخلاق كثيرة قد أَخْلصها القرآن الكريم الجماعة. فيها تهذيب وإصلاح وتزكية للقلب واليد واللسان، والسمع والبصر، وسائر الجوارح. لم يقف بها عند حدود الأقوال والأفعال، وإنما تعداها إلى النوايا والظنون. ولا اقتصر على الحضور والعلن، وإنما شمل الغياب والإسرار. ولا اختص جانباً من حياة الجماعة دون الآخر، وإنما انتظم جميع الجوانب الدقيق منها والجليل. ولا استثنى أحداً من أفرادها، وإنما عمّ القريب والبعيد، والقوي والضعيف، والغني والفقير، والصغير والكبير، والنساء والرجال. يريد القرآن للجماعة كياناً صحيحاً متعافياً، لا تعطل شيئاً من أطرافه العلل، ولا تكدّر صفوه المنغّصات، فوضع مادة قوته، ونظام حياته الذي يُبْقي على تماسكه، ويكفل سلامته. وربط ذلك بسببين مؤثرين إذا ذُكرا عطفا إليهما كل مسلم : الأخوّة الدينية، والرحمة. يوحي بهما في خطابه، وإن لم يظهرا في كلامه. ولا تجد محركاً للقلوب إلى فضائل الأخلاق أَمْضى منهما، ولا جابراً للنفوس عند العطاء أرضى وأهنأ منهما. وشرع سبيله فيها بالتخلية عن كل مذموم، والتحلية من كل محمود. ولم يُغْفِل أن يقرنها بين الحين والآخر ببيان العلل والغايات، وينبه على بعض العواقب. وحَمَلَها على الأساليب المعهودة في التنزيل عامة، من حيث الترغيب والترهيب، والقصص والعبرة، وضرب الأمثال. والمناوبة بين الخبر والطلب، ونحو ذلك.

عَدُّ القواعد الأخلاقية للجماعة في القرآن يطول[1]، واستيعاب الحديث عن

---

(١) للتوسع في أخلاق القرآن عموماً. انظر كتاب: دستور الأخلاق في القرآن الكريم. للدكتور: محمد عبدالله دراز. وكتاب: موسوعة أخلاق القرآن. للدكتور: أحمد الشرباصي.

جوانبها أطول، وحسبنا منها ما يُعرّف بها، ويدلّ عليها، في صيغة سلوكية خلقية، لا فقهية متخصّصة. عناوينها خضعت للتحري والاجتهاد، ولا يمتنع أن يُعبّر عنها بألفاظ مشابهة، وصيغ مماثلة. وقد أوردتها في مبحثين:

المبحث الأول: الأخلاق المحمودة التي حث عليها الشارع.

المبحث الثاني: الأخلاق المذمومة التي حذر منها.

ومن الملامح العامة لهذا العرض ما يلي:

١ – أن ما أوردته من الأخلاق هو ما يوحى بالمقابلة بين طرفين، أو أكثر، بصيغة تدل على المفاعلة، أو كلمة (بعض) أو (بين)، أو اللفظ الذي تقتضي دلالته ألا يتم إلا باشتراك أكثر من طرف ككلمة: (العهد) أو (الجدل) أو (الشورى) كما سبق بيانه، وهذا ما يوافق المراد من موضوعنا.

٢ – قواعد أخلاق الجماعة المسلمة في القرآن الكريم كثيرة. وقد اكتفيت منها بذكر ما يحقق الغرض، ويتضح به المراد، دون حصر أو استقصاء.

٣ – لم أراع ترتيب الآيات في المصحف، وإنما بحسب قوة الدلالة، وقربها من المعنى المقصود.

٤ – أوردت في الخُلُق الواحد من الآيات ما يجلو المراد، ولم أستوعب كل ما جاء فيه.

٥ – بعض تراجم القواعد مستوحى من تفسير الآيات أكثر من لفظها.

٦ – ذكر هذه القواعد مفردة غير مشروحة أمر مقصود ومن غايات البحث للدلالة عليها مستنبطة من نص القرآن الكريم مستقلة بذواتها وللإعلام أنها بمثابة قانون مُقَعَّد لأخلاق الجماعة في القرآن يمكن أن يؤدي معناه دون الحاجة إلى شرح وتعليق.

على أننا لو بسطنا معانيها لأفضى بنا ذلك إلى الوقوف عند حدّ السببية الذي يفرض بدوره علينا نوعاً من القيد في التحرّك لبيان المعنى، فكان الأليق

بموضوعنا أن نخرج بها عن مجرى سياقها الخاص إلى التعميم بذكرها مجرّدة هكذا ؛ لتكون أبلغ دلالة، وأوسع شمولاً، وأقرب إلى تحقّق المقصود.

وهذه بعض صور من هذه الأخلاق :

المبحث الأول
الأخلاق المحمودة

(١) التحية بين المؤمنين.

* قال تعالى : ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾

[سورة النساء الآية (٨٦)]

* قال تعالى : ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

[سورة الذاريات الآية (٢٥)]

(٢) الرحمة "التراحم".

* قال تعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾

[سورة الفتح الآية (٢٩)]

* وقال تعالى : ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾

[سورة البلد الآية (١٧)]

* وقال تعالى :﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

[سورة الروم الآية (٢١)]

(٣) المودة "التوادد والموادّة".

* قال تعالى: ﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾

[سورة الممتحنة الآية (٧)]

* وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

[سورة الروم الآية (٢١)]

(٤) حسن التواصي.

* قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾

[سورة البلد الآية (١٧)]

* وقال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾

[سورة العصر الآية (٣)]

(٥) مقارضة الفضل والإحسان.

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾

[سورة البقرة الآية (٢٣٧)]

* وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾

[سورة الرحمن الآية (٦٠)]

(٦) التعامل بالمعروف.

* قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾

[سورة البقرة الآية ٢٢٨)]

* وقال تعالى: ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾

[سورة الطلاق الآية (٦)]

(٧) التعاون على الخير والصلاح في الدين.

* قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾

[سورة المائدة الآية (٢)]

(٨) التشاور والتداول في الأمور.

* قال تعالى: ﴿فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ﴾

[سورة البقرة الآية (٢٣٣)]

* قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾

[سورة الشورى الآية (٣٨)]

* وقال تعالى: ﴿وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ﴾

[سورة الطلاق الآية (٦)]

(٩) التناجي والمسارّة بطيّب القول وصالح النية والعمل.

* قال الله تعالى: ﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾

[سورة المجادلة الآية (٩)]

* وقال تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ١١٤﴾

[سورة النساء الآية (١١٤)]

(١٠) موالاة المؤمنين بعضهم بعضا.

* قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾

[سورة التوبة الآية (٧١)]

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾

[سورة الأنفال الآية (٧٢)]

* وقال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ﴾

[سورة الأنفال الآية (٧٥)]

(١١) المجادلة بالحسنى وأدب الخلاف.

* قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾

[سورة النحل الآية (١٢٥)]

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾

[سورة العنكبوت الآية (٤٦)]

* وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣﴾

[سورة الإسراء الآية (٥٣)]

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾

[سورة فصلت الآية (٣٤)]

(١٢) السمع والطاعة لحكم الله ورسوله وتمام الرضا به .

* قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١﴾

[سورة النور الآية (٥١)]

* وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

[سورة النساء الآية (٦٥)]

(١٣) المصالحة والإصلاح بين الناس.

قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾

[سورة النساء الآية (١٢٨)]

* وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾

[سورة الأنفال الآية (١)]

* وقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ۚ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

[سورة النساء الآية (٣٥)]

* وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۚ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

[سورة الحجرات الآيتان (٩-١٠)]

(١٤) الوفاء بالعهد.

* قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا

وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤﴾

[سورة التوبة الآية (٤)]

* وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١﴾

[سورة النحل الآية رقم (٩١)]

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمَۢا ١٠﴾

[سورة الفتح الآية (١٠)]

(١٥) التراضي في المعاملة.

* قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾

[سورة البقرة الآية (٢٣٢)]

* وقال تعالى: ﴿فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ﴾

[سورة البقرة الآية (٢٣٣)]

* وقال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ﴾

[سورة النساء الآية (٢٤)]

* وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾

[سورة النساء الآية (٢٩)]

(١٦) الاستيقان والتثبت عند التعامل دفعاً للريبة وضياع الحقوق.

* قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ ۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨٣﴾﴾

[سورة البقرة الآيتان (٢٨٢-٢٨٣)]

(١٧) المماثلة والعدل في الاقتصاص.

* قال تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾

[سورة البقرة الآية (١٩١)]

* وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾

[سورة البقرة الآية (١٩٤)]

* وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

[سورة النحل الآية (١٢٦)]

المبحث الثاني
الأخلاق المذمومة

(١) السخرية واللّمز.

* قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾

[سورة الحجرات الآية (١١)]

* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾

[سورة المطففين الآية (٣٠)]

(٢) التّنابز.

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ﴾

[سورة الحجرات الآية (١١)]

(٣) الغيبة.

* قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾

[سورة الحجرات الآية (١٢)]

(٤) الحسد وتمني ما عند الغير.

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾

[سورة النساء الآية (٣٢)]

(٥) التناجي المذموم والمسارة بالقبيح .

* قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

[سورة المجادلة الآيات (٨-١٠)]

* وقال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾

[سورة القلم الآيتان (٢٣-٢٤)]

(٦) التعاون الممقوت.

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾

[سورة المائدة الآية (٢)]

(٧) التواطؤ على المنكر.

قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾

كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

[سورة المائدة الآيتان (٧٨-٧٩)]

(٨) مودة الكفار وتوليهم.

* قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

[سورة المائدة الآية (٥١)]

* وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

[سورة المائدة الآية (٥٧)]

* وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾

[سورة الممتحنة الآية (١)]

* وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ﴾

[سورة المجادلة الآية (٢٢)]

* وقال تعالى: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾

[سورة آل عمران الآية (١١٩)]

(٩) الشقاق والخلاف.

* قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ﴾

[سورة الأنفال الآية (٤٦)]

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾

[سورة آل عمران الآية (١٠٥)]

(١٠) اللجاج والجدل العقيم.

* قال تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾

[سورة البقرة الآية (١٩٧)]

* وقال تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ﴾

[سورة العنكبوت الآية (٤٦)]

* وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾

[سورة الحج الآية (٨)]

* وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

[سورة غافر الآية (٣٥)]

(١١) أكل أموال الناس بالطرائق المحرمة.

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

[سورة البقرة الآية (١٨٨)]

* وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾

[سورة النساء الآية (٢٩)]

(١٢) التطفيف.

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾

[سورة المطففين الآيات (١-٣)]

(١٣) التقاعس عن حق ذوي الاحتياج.

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾

[سورة الفجر الآية (١٨)]

(١٤) إزهاق النفس المسلمة.

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

[سورة النساء الآية (٢٩)]

(١٥) ترك الاحتكام إلى الله بالعدول إلى غيره والإنكار على من ابتغى ذلك.

* قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾

[سورة النساء الآية (٦٠)]

* وقال تعالى : ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

[سورة المائدة الآية (٥٠)]

* وقال تعالى : ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ﴾

[سورة الأنعام الآية (١١٤)]

(١٦) التعاذل بعد فوات الأوان.

* قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾﴾

[سورة ص الآيتان (٥٩-٦٠)]

* وقال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾

[سورة ق الآية (٢٨)]

* وقال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾﴾

[سورة القلم الآيتان (٣٠-٣١)]

الخاتمـــة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

ها قد فرغنا من بيان ما أجملته لك في مقدمة هذا البحث، وأحسبك الآن قد انتهيت إلى الحكم عليه، ومع ثقتي بحسن تقديرك لما قرأته فإني أُذكّر أنه لم يكتب فيه شيء مستقل على النحو الذي سلكته، حتى اتخذه دليلاً لي في بعض مجاهله، ومقتضى ذلك أن تجد – ربّما– بعض ما تغمطه عليَّ فيه، فإن كان ذاك فهبها لأريحيّتك، وللبداءة بمثله. وحيث عَلِمت الأخلاق وتعلقها بأحوال النفس الظاهرة والباطنة، فإن بعض الحزم والرشد في طلب القصد فيها، والعدول عن التطويل الذي يصحبه الإخلال في كثير من الأحيان. فعسى أن يكون فيما قدمت سَدَادٌ ومَقْنع، والله الموفق إلى كل خير، وهذه بعض ما ظهر لي من فوائده :

أولاً: أن الخير معقود بصلاح الجماعة، ودورها في المجتمع ضرورة لابد من تحقيقه.

ثانياً: أن الإسلام قد احترم الجماعة، ووضع قانونها، ودعا إلى لزومها.

ثالثاً: أن أكثر شرائع الدين لا تخلو من دعوة صريحة أو ضمنية إلى وحدة الجماعة.

رابعاً: أن صلاح الأوطان، وأمنها، واستقرارها متصل بصلاح الجماعة.

خامساً: أن للجماعة سلطاناً يتحتّم عليها العمل به على النحو الذي أنيط بها، ووكل إليها.

سادساً: أن لأفعال الجماعة الفاضلة قدراً من السلامة والسداد إلى حدّ يشبه العصمة.

سابعاً: أن المسلم مُتَعبَّدٌ بلزوم الجماعة، وصحبتها في المنشط والمكره؛ لأن في ذلك أمناً له وحفظاً لدينه.

ثامناً: أن الجماعة شريكة في آثار الأفعال وعواقبها بحسب ما تقدمه إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

تاسعاً: أن في رعاية الجماعة صيانة لها، وحفظاً لوحدتها.

عاشراً: حاجة هذا الجانب الأخلاقي إلى الدراسة والبحث؛ لما فيه من إثبات المسؤولية الجماعية المُتَبادَلَة.

الحادي عشر: أن صيغتها في القرآن أقرب إلى جبلّة الإنسان، وأجلب لاهتمامه وعنايته؛ عندما يرى أن الشرع قد جعله راعياً باعتبار، ومرعياً باعتبار آخر. فهو مدفوع إليها حين يعلم أن فيما يقدمه للناس حفظاً لحقه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً :

١ – **إحياء علوم الدين** لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي (ت٥٠٥هـ) وبهامشه : المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار. لأبي الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٠٦هـ). دار الشعب. القاهرة.

٢ – **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** للحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري (ت٤٦٣هـ). تحقيق : علي محمد البجاوي. ملتزم الطبع والنشر : مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، الفجالة مصر.

* **الاستيعاب في أسماء الأصحاب** لأبي عمر يوسف بن بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي المالكي (ت٤٦٣هـ) بهامش الإصابة في تمييز الصحابة. الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت.

٣ – **أسد الغابة في معرفة الصحابة** لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ). تحقيق وتعليق : محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمود عبدالوهاب فايد. دار الشعب – مصر.

٤ – **الإصابة في تمييز الصحابة** لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد العسقلاني المصري الشافعي الحافظ المعروف "بابن حجر" (ت٨٥٢هـ). حقق أصوله وضبط أعلامه ووضع فهارسه : علي محمد البجاوي. دار نهضة مصر للطبع والنشر – الفجالة – القاهرة.

* **الإصابة في تمييز الصحابة** لشيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي المعروف بابن

حجر (ت٨٥٢هـ). وعلى هامشه: الاستيعاب لابن عبدالبر. الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

٥ – **الأعلام**. قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. تأليف خير الدين الزركلي (ت١٣٩٦هـ) الطبعة الخامسة ١٩٨٠م. دار العلم للملايين – بيروت.

٦ – **التحرير والتنوير** للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. الدار التونسية للنشر، ١٩٧١م.

٧ – **تفسير القرآن العظيم** للحافظ عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

٨ – **تهذيب الأخلاق** تأليف: عبدالحيّ فخر الدين الحسني (ت١٣٤١هـ) تقديم: أبي الحسن على الحسني الندوي. طبعة: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. دار الاعتصام – القاهرة.

٩ – **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق** لأبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي "مسكويه" (ت٢٤١هـ) قدم له: الشيخ حسن تميم. الطبعة الثانية. منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان.

١٠– **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ). حققه وعلق حواشيه: محمود محمد شاكر. راجعه وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر. دار المعارف بمصر. الطبعة الثانية.

١١– **الجامع لأحكام القرآن** لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) صححه: أحمد عبدالعليم البرودني، أبو إسحاق إبراهيم أطفيش. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

١٢– **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** تأليف شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) حققه وقدم له ووضع فهارسه: محمد سيد جاد الحق. مطبعة المدني. مصر. دار الكتب الحديثة.

١٣- **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات** تأليف العلامة المتتبع الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني (ت١٣١٣هـ). تحقيق: أسد الله إسماعيليان. عنيت بنشره مكتبة إسماعيليان. طهران. يطلب من دار المعرفة - بيروت - لبنان.

١٤- **سنن الترمذي وهي (الجامع الصحيح)** لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٩٧هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوة عوض. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٥- **سير أعلام النبلاء** للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

١٦- **الصحاح** تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار. الطبعة المجانية على نفقة السيد حسن عباس الشربتلي. الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٧- **صحيح البخاري** للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ) ضبطه ورقمه، وذكر تكرار مواضعه، وشرح ألفاظه وجمله، وخرج أحاديثه في صحيح مسلم ووضع فهارسه، الدكتور: مصطفى ديب البغا. الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. نشر وتوزيع: دار القلم. دمشق. بيروت. دار الإمام البخاري. دمشق. حلبوني.

١٨- **صحيح مسلم** للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) وقف على طبعه، وتحقيق نصوصه، وتصحيحه وترقيمه، وعد كتبه وأبوابه، وأحاديثه وعلق عليه ملخص شرح الإمام النووي، مع زيادات عن أئمة اللغة. خادم الكتاب والسنة: محمد فؤاد عبدالباقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

١٩- **طبقات الحفاظ** للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)

تحقيق: علي محمد عمر. مطبعة الاستقلال الكبرى. الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م. الناشر: مكتبة وهبة. القاهرة.

٢٠- **طبقات الشافعية الكبرى** لتاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي (ت٧٧١هـ). تحقيق: عبدالفتاح الحلو، ومحمود محمد الطناحي. الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. مصر.

٢١- **طبقات المفسرين** للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي (ت٩٤٥هـ) تحقيق: علي محمد عمر ... بمركز تحقيق التراث بدار الكتب. مطبعة الاستقلال الكبرى. الطبعة الأولى، ١٩٣٢هـ/ ١٩٧٢م. الناشر: مكتبة وهبة. القاهرة.

٢٢- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ). تحقيق وتعليق: محمد مرسي عامر. مراجعة الطبع: الدكتور شعبان محمد إسماعيل. الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. الناشر: دار المصحف: شركة مكتبة ومطبعة عبدالرحمن بن محمد. الصنادقية بالأزهر. القاهرة.

٢٣- **لسان العرب** لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي جمال الدين ابن منظور (ت٧١١هـ). تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي. الناشر: دار المعارف. القاهرة. طبعة جديدة.

٢٤- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ) بتحرير الحافظين: زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٠٦هـ) وشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ). الطبعة الثانية :-١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. منشورات: دار الكتاب العربي. بيروت.

٢٥- **مسند الإمام أحمد** للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)

وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلي بن حسام الدين الشهير "بالمتقى" الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. بيروت.

٢٦- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي** تأليف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت٧٧٠هـ) المكتبة العلمية. بيروت. لبنان.

٢٧- **معجم الأدباء المعروف بـ "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"** لشهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ). الطبعة الأخيرة. دار المأمون.

٢٨- **معجم مقاييس اللغة** لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ). تحقيق وضبط: عبدالسلام هارون. الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. محمد محمود الحلبي وشركاه. خلفاء.

٢٩- **المعجم الوسيط. لمجمع اللغة العربية بالقاهرة** قام بإخراج الطبعة: د. إبراهيم أنيس، د. عبدالحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد. وأشرف على الطبع: حسن علي عطية، محمد شوقي أمين. مطابع دار المعارف بمصر. الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٣٠- **مقدمة ابن خلدون** للإمام عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ) تحقيق: الأستاذ: درويش جويدي. الطبعة الأولى:- ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.

٣١- **الموطأ** للإمام مالك بن أنس أبي عبدالله الأصبحي (ت١٧٩هـ) صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبدالباقي. دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣٢- **النهاية في غريب الحديث والأثر** للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ). تحقيق: محمود محمد الطناحي، طاهر أحمد الزاوي. دار الفكر. الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣٣- **الوافي بالوفيات** لصلاح الدين خليل بن إيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ) باعتناء: محمد يوسف نجم. دار النشر: فرانز شتايز بفيسبادن. الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٣٤- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ) تحقيق: د. إحسان عباس. دار صادر. بيروت.